



خطاب الكراهية شرق سوريا

التداعيات وآليات المواجهة

تشرين الأول | أكتوبر 2020



جميع الحقوق محفوظة لمنظمة العدالة من أجل الحياة © 2020

خطاب الكراهية شرق سوريا

التداعيات وآليات المواجهة

تقرير عن خطاب التحريض ودور المؤثرين المحليين في مناهضته

مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية في دير الزور نموذجاً

الفهرس

4.....	مقدمة
7.....	سياق المنطقة المُستهدفة
8.....	نقاط تحوّل فاقمت من خطاب الكراهية والتحريض على العنف
8.....	الاعتقالات والانفلات الأمني وانتشار السلاح
9.....	العمليات الأمنيّة والعسكريّة
10.....	المنهاج التعليمي
11.....	الانسحاب الأمريكي من سوريا
12.....	المطالبة بالمشاركة في الإدارة المدنية
13.....	العلاقة بين المقيمين والنازحين
	دور المؤثرين المحليين (قيادات محلية- منظمات مجتمع مدني) في الوقاية من آثار خطاب الكراهية
13.....	والتحريض
15.....	تجارب دولية
15.....	جنوب السودان
15.....	جمهورية أفريقيا الوسطى
16.....	جهود المفوضية السامية لحقوق الإنسان في الحالة السوريّة
16.....	حرية التعبير ومكافحة التحريض على الكراهية من منظور دولي
18.....	الخلاصة
19.....	توصيات لتحسين المجتمع المحلي من تبعات التحريض
20.....	مراجع

مقدمة

في شمال شرق سوريا، شهدت السنوات الثلاث الفائتة محطات عدّة كانت ترتفع خلالها الأصوات الدّاعية لحماية¹ التعدّدية و صون حرية التعبير والحوار وقبول الآخر، بالرغم مما رافقها من إجراءات تحدّ من هذه الحقوق والحريات، وكذلك برزت أصوات محرّضة على العنف والكراهية ورفض الآخر المختلف. كان من أبرز هذه المحطّات المظاهرات² المطالبة بالمشاركة³ في إدارة المناطق الخارجة عن سيطرة السلطات السوريّة والتي شهدتها محافظة دير الزور خلال عامي 2019 و 2020، وقرار الرئيس الأمريكي بالانسحاب من سوريا في نهاية العام 2019 وما شهدته هذه الفترة من تحريض وتحريض مضاد نتيجة المواقف المختلفة حول هذا القرار، فضلاً عن الاعتقالات التعسفية والاعتقالات⁴ التي شنتها قوات سوريا الديمقراطية في مناطق متعدّدة من المحافظة وما نتج عنها من انقسام بين داعم لهذه الحملات ورافض لها بدعوى انتهاكها لحقوق الإنسان، وأخيراً المناقشة المتعلقة بمنهج التعليم⁵ بين مؤيّد ومعارض.

حرية التعبير في المنطقة الشرقيّة ليست أصيلة ولا تنبع من رغبة سياسيّة حقيقية، وإنما خاضعة لتوازنات سياسيّة وأمنيّة مُعقّدة ومركّبة في المنطقة، يوجد مساحة تعبير في شمال شرق سوريا أكثر من مناطق سوريّة أخرى، ولكنها تتّسع وتضيق وفق القضية والجهة أو الشخص، فنلاحظ أنّ المطالبات بالحقوق الاقتصادية والاجتماعيّة (الخدمات- الحقوق المعيشية اليومية) لها مساحة واسعة للمطالبة بها، في حين تضيق هذه المساحة شيئاً فشيئاً كلّما انتقلنا إلى الحقوق السياسيّة (انتقاد الإدارة الذاتية وطريقة عملها). كما أنّ الأحزاب والشخصيات خاصة القيادات العشائريّة المُقرّبة من الإدارة لها حرية أكبر في التعبير⁶.

¹ حقوق الإنسان والمجتمع المحلي في دير الزور - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/M3ChP>

² مظاهرات مستمرة في دير الزور ومطالب لايّد من التعامل معها بحدّة - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/Wt0lK>

³ المشاركة المعيبة - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/pYkge>

⁴ دعايات الاستقرار الهش وانتهاكات حقوق الإنسان - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/E7ynv>

⁵ التعليم من أداة للصراع إلى أداة للسلام والعيش المشترك - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/siaNW>

⁶ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع مدير منظمة حقوقية عن طريق برنامج GMAIL MEETING بتاريخ 16 أيلول/سبتمبر 2020.

تُحاط حرية التعبير بالعديد من القيود والعادات الاجتماعية والتي تمنع الأفراد المنتمين لمنطقة أو دين أو إثنية من الخروج عن آراء الجماعة، إضافة إلى عامل الخوف من إجراءات السلطة المحلية خاصة مع وجود تهمة جاهزة وهي الانتماء لتنظيم الدولة أو التعامل مع الفصائل المُقربة من تركيا، وعدم وجود قوانين واضحة تنظّم ممارسة الحق في حرية التعبير.⁷

الإجراءات المتخذة من قبل السلطات المحلية كرد على بعض مظاهر التعبير، والتحرّيش في الخطاب العام ووسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت ساحة للتجيش انعكسا سلباً على المجتمع المحلي، وجود مواقف بناءة داعية للحوار لم يمنع الخطاب التحريضي الذي ظلّ طاغياً وعزّز الاصطفافات الموجودة أصلاً وزاد الاحتقان على المستوى المجتمعي ليس فقط على أساس مناطقي أو قومي بل أيضاً بين أصحاب وجهات النظر المختلفة من أبناء المنطقة والقوميّة الواحدة.

إنّ ما توافر من مساحة للحديث في شرق سوريا يُعتبر سيف ذو حدين، من جهة له دور في تأجيج النزاعات وزيادة الانقسامات، حيثُ امتدت "ساعات القتال" إلى الفيس بوك و تويتر، حاولت من خلالها أطراف أن تجعل صوتها هو الأعلى وفرض رؤيتها بالاستخدام المكثف وغير المهني لهذه الوسائل. من ناحية أخرى لاستخدام وسائل التواصل إيجابيات عديدة حيث سلّط الضوء على أوضاع المنطقة وقضايا لم تهتم بها وسائل الإعلام، ووثقت الانتهاكات في مراكز الاحتجاز وناصرت مطالب شعبية مثل المطالبة بإعادة تشغيل مستشفى هجين في شرق دير الزور وهو ما أتى أكله.⁸

لم يكن التحريض مقتصرًا على المختلفين دينياً أو إثنيًا بل امتد ليشمل المخالفين والمعترضين على المواقف السائدة، وشمل تحريضاً على المقاطعة ونشر معلومات خاطئة وتشهير ودعوة في بعض الأحيان إلى الاعتداء الجسدي. شكلت رسائل التحريض أحد العوامل المحركة للنزاعات.

الدوافع الأساسية للتحريض على العنف أن تبقى المنطقة الغنيّة بالثروات في حالة من الضعف، تستغل أطراف نزاع سوريّة وقيادات مجتمعيّة محلية هذه الأوضاع لتحقيق مصالحها.⁹ تزيد القوى المسيطرة من

⁷ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع عضو منظمة غير حكوميّة تعمل في شمال شرق سوريا عن طريق برنامج ZOOM بتاريخ 24 أيلول/سبتمبر 2020.

⁸ مقابلة ميدانيّة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع وجيه اجتماعي في دير الزور بتاريخ 15 أيلول/سبتمبر 2020.

⁹ مقابلة ميدانية أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع موظفة في مؤسسات الإدارة الذاتية في دير الزور بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 2020.

مساحة حرّية التعبير إذا تعرّضت لضغوط كبيرة وتقلّصها في معظم الحالات، فليس من السهل على سبيل المثال تشكيل حزب سياسي مستقل¹⁰.

الوجهاء¹¹ والفاعلون الاجتماعيون ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام كانت انقسمت هي الأخرى ولم تلعب الدور المنوط بها بإيجاد سبل التواصل والبحث عن الحلول المقبولة، بل على العكس قامت عدد من الصفحات الإعلاميّة والوجهاء بأدوار سلبية.

يسلّط التقرير الضوء على أبرز القضايا في محافظة دير الزور / مناطق سيطرة سوريا الديمقراطية التي شهدت منع ممارسة الحق في حرية التعبير والقيام بإجراءات تقيّده، وحوادث أدّت إلى انقسامات مجتمعيّة حادة وتحريضاً متبادلاً، وتلقي نظرة على بعض التجارب الدّولية للتعامل مع حرية التعبير والتعدّدية والآراء المختلفة ودور المجتمع المدني والإعلام في ذلك، والنصوص القانونيّة والجهود الدّولية في هذا الإطار، ودور الفاعلين والجهات المحلية المؤثّرة في حماية وصون مبادئ حقوق الإنسان.

¹⁰ مقابلة ميدانية أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع وجه اجتماعي في دير الزور بتاريخ 15 أيلول/سبتمبر 2020.

¹¹ دير الزور والسلام - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2019.

سياق المنطقة المُستهدفة

أعلنت¹² قوات سوريا الديمقراطية في آذار/مارس 2019 انتهاء الحرب على تنظيم الدولة بعد السيطرة على آخر معاقله في بلدة الباغوز التابعة لمنطقة البوكمال شرقي دير الزور، كانت قد سيطرت على معظم المناطق شمال نهر الفرات في دير الزور في نهاية العام 2017. فيما سيطرت الحكومة السوريّة وحلفائها على مناطق جنوب النهر.

شكّلت سوريا الديمقراطية مجالس مدنيّة بهدف تنظيم تقديم وإدارة الخدمات في المنطقة، كما تقدّم منظمات دوليّة مساعدات خاصة بالخدمات.

عاد نشاط منظمات المجتمع المدني للظهور بعد أن عمل تنظيم الدولة على إنهائه تماماً بملاحقة وقتل النشطاء المدنيين، تشكّلت العديد من الجمعيات والمبادرات المدنية التي عملت في معظمها على تقديم الخدمات مثل تأهيل شبكات الري والكهرباء والصرف والطرق، ودعم الجمعيات الزراعيّة والمستشفيات¹³ والمدارس.

نزع آلاف المدنيين من مناطق سيطرة الحكومة السوريّة باتجاه شمال نهر الفرات، عادت مئات الأسر بعد توقف المعارك، وآخرون يتنقلون بين الضفتين، فيما آلاف المدنيين¹⁴ غير قادرين¹⁵ على العودة لأسباب¹⁶ أمنيّة.

من الناحية النظرية، تتمتع الإدارة المدنيّة المشكّلة بهرمية أكثر وضوحاً من سابقاتها، وعملت على محاولة تطوير إدارة المناطق، ونظّمت القوى الأمنيّة حملات "لمواجهة المجموعات المتطرفة والخارجين على القانون"، إضافةً إلى وجود منظمات ومبادرات مدنية منها ما يختص بالإعلام وحقوق الإنسان، إلا أنّ

¹² هزيمة "خلافة" الدولة الإسلامية ومخاوف من استمرار تهديدها - رويترز، 2019.

<https://fr.reuters.com/article/mideast-crisis-islamicstate-ar1-idARAKCN1R4077>

¹³ الريف الغربي شمال نهر الفرات...مدارس بحاجة إلى دعم ومستشفيات لا تغطي حاجة المدنيين - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2019.

<https://2u.pw/R3BPz>

¹⁴ ورقة صادرة عن منظمة العدالة من أجل الحياة حول بعض مخيمات النازحين في دير الزور، 2018.

<https://2u.pw/hxFWh>

¹⁵ التسويات / المصالحات الخيار الأخير لأهالي دير الزور - منظومة العدالة من أجل الحياة، 2019.

<https://2u.pw/13jGQ>

¹⁶ الأسباب الرئيسية لعدم عودة نازحي دير الزور إلى مناطق سيطرة الحكومة السورية في المحافظة - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2019.

<https://2u.pw/hfZxc>

المنطقة لم تنعم بالأمن والاستقرار ومزّت في العديد من المراحل الخطيرة التي انعكست بشكل كبير على حياة الناس اليومية ومصالحهم وأمنهم الشخصي. حيث شهدت المنطقة اغتياوات¹⁷ متكرّرة وحالات خطف وقتل، إضافة إلى السرقة والسطو المسلح، والمنازعات المحلية بين الأهالي حيث لا تقدّم القوى المسيطرة حلول تذكر.

نقاط تحوّل فاقمت من خطاب الكراهية والتحريض على العنف

رصدت منظّمة العدالة من أجل الحياة عشرات المنشورات التي تداولها ناشطون متابعون على وسائل التواصل الاجتماعي، وصفحات محلية لها متابعون تضمنت دعوة صريحة لحمل السلاح والقتال، كما تضمّنت عبارات تحريضية لأطراف محلية على أخرى. تجاوز عدد المنشورات التي تم رصدها الـ (100) ومن خلالها تبين لمنظّمة العدالة أكثر الحوادث التي شهدت تحريضاً ودعوات لحمل السلاح.

كما أجرت المنظمة (10) مقابلات مع حقوقيين وناشطين مدنيين وقيادات منظمات مجتمع مدني ووجهاء اجتماعيين، معظم ما تم ذكره خلال المقابلات كان عن حوادث معيّنة، إضافة إلى التركيز على دور كل من السلطات المحليّة والمجتمع المدني والوجهاء.

العلاقة بين المقيمين و النازحين	المطالبة بالمشاركة بالإدارة المحليّة	الانسحاب الأمريكي من سوريا	المنهاج التعليمي	العمليات الأمنية و العسكرية	الغتيالات و الانفلات الأمني و انتشار السلاح
أيلول 2017	آيار 2019	تشرين الأول 2019	نموز 2020	نموز 2020	نموز 2020

الغتيالات والانفلات الأمني وانتشار السلاح

شهدت المحافظة مقتل عدد من الأشخاص من بينهم وجهاء ذوي سمعة ومكانة اجتماعيّة بإطلاق نار من قبل مجهولين، كما وجدت جثامين أشخاص بعد فقدانهم. قام مسلحون بوضع حواجز بين عدد من القرى نتيجة خلافات عشائرية بعضها قديمة، وشهدت قرى في الريف الشرقي حوادث اشتباك بين الأهالي. تم رصد منشورات على موقع فيس بوك ورسالتين على الأمل متداولتين بكثرة عبر تطبيق واتس آب تسمي

¹⁷ 11 منظمة سورية تحين بشدة عمليات الاغتيال المتكررة في دير الزور بحق زعماء عشائريين، 2020.

الفاعلين عن عمليات الاغتيال والختف والاعتداءات الجسديّة بدون أي سند أو دليل وتدعو لحمل السلاح. أدى التحريض الممارس في هذه المناطق إضافة إلى فشل الأجهزة المختصة التابعة لقوى السيطرة في التعامل معها إلى ازدياد حالة الاحتقان الشعبي.

إنّ كثرة البيانات الصادرة عن العديد من الجهات العشائريّة، والتي تضمن بعضها مواقف رافضة لإجراءات القوى المسيطرة وأخرى مؤيّدة لها، واتهام المتنافسين بعضهم البعض بعدم أحقيتهم بالتمثيل يحدد بضائع قضايا الأهالي الأساسية¹⁸.

قدّمت الإدارة الذاتيّة والقوى العسكريّة الدّعم لاجتماعات الوجهاء الذين لم يحملوها مسؤوليّة الاغتيالات، ولعب الإعلام دوراً سلبياً بنشره أخباراً تخالف الحقيقة تتعلق بالمناصب القيادية على مستوى العشائر الأمر الذي زاد الانقسام العشائري الداخلي¹⁹.

حاصرت مجموعة مسلحة من عشيرة مدرسة محليّة احتجاجاً على تدني العلامات الإمتحانية لأحد أقرانهم في المدرسة وطالبوا بتعديل هذه العلامات، متهمين إحدى المدرّسات بإعطاء علامات جيّدة فقط لأبناء عشيرتها، ولم تُحل المشكلة إلّا بالاستجابة لمطالب المسلحين وتدخل قوات سوريا الديمقراطية²⁰.

العمليات الأمنيّة والعسكريّة

صدرت بيانات وتقارير عديدة تتهم قوات سوريا الديمقراطية بارتكاب انتهاكات خلال عمليات الاقتحام التي نفذتها في مناطق دير الزور من أبرزها عملية "ردع الإرهاب" المشتركة مع التحالف الدولي في الريف الشرقي للمحافظة خلال شهر تموز/يوليو 2020، الإعلام المقرب من هذه القوات أكد أنّ الهدف هو خلايا تنظيم الدولة الإسلامية المتواجدة في المناطق المستهدفة. اتّهم البعض بالتغطية على الانتهاكات فيما اتهم آخرون بمحاولة حماية التنظيمات المُتطرفة والتعاون معها. عزّزت الاعتقالات التعسفيّة والاختفاء القسري وطول مدّة الاعتقال²¹ بدون محاكمة²² والالتهاامات الموجهة للأجهزة الأمنية بممارسة التعذيب

¹⁸ مقابلة ميدانيّة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع موظفة في مؤسسات الإدارة الذاتية بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 2020.

¹⁹ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع ناشط محلي في دير الزور عن طريق برنامج Zoom بتاريخ 10 أيلول/سبتمبر 2020.

²⁰ مقابلة ميدانيّة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع مدرّسة في دير الزور بتاريخ 13 أيلول/سبتمبر 2020.

²¹ استعصاء معتقلين في دير الزور -منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/ultAw>

²² محاكمة عناصر تنظيم الدولة. خطوات أساسيّة لتحقيق العدالة - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/GKyC5>

ووفاة²³ أشخاص نتيجة لذلك من الخطابات التحريضية واتساع الهوة بين القوى المسيطرة والمجتمع المحلي.

الأخبار الكاذبة تحرض على الكراهية والانقسام الطائفي والعرقي، وتؤمن غطاءً خطراً جداً للأطراف للاستمرار في ارتكاب الانتهاكات والادعاء بأنها غير صحيحة، على سبيل المثال انتشر مقطع فيديو لمجموعة عناصر يوجهون كلاماً مهيناً لامرأة ويشير إلى أنهم تابعين لقوات سوريا الديمقراطية، ليتبين فيما بعد أنّ الحاجز يتبع لمجموعة أحرار الشرقية²⁴.

منذ مدة قريبة سمع صوت تحليق للطيران وأصوات اشتباكات، نشرت بعض صفحات التواصل الاجتماعي أخباراً تفيد بوجود اقتحام لقوات سوريا الديمقراطية لأحد البلدات في الريف الشرقي، فيما نشرت أخرى أنّ القوات الحكومية بدأت بالتقدم، حمل بعض الشبان السلاح بناء على هذه الأخبار لمواجهة أي اقتحام، ليتبين أنّ ما يجري هو تدريب عسكري مشترك لقوات سوريا الديمقراطية والتحالف الدولي²⁵.

يستقي الأهالي معلوماتهم من وسائل إعلام محلية، مشكلة هذه الوسائل أنّها لا تمتلك مهنية عالية وليس لديها المساحة الكافية من الحرية، وبالتالي فإنّ المعلومات الصادرة عنها غالباً ما تكون غير دقيقة²⁶.

المنهاج التعليمي

قوبل المنهاج الذي اقترحه الإدارة الذاتية كبديل للمنهاج الحكومي برفض فعاليات شعبية مختلفة، أتهمت الإدارة بمحاولة فرض أيديولوجية معينة على المجتمع المحلي مستخدمة التعليم وسيلة، إلا أنّ هذا الرفض تضمن اتهامات متبادلة ليس فقط بين مؤيدي المنهاج ورافضيه بل أيضاً بين الرافضين أنفسهم.

تمّ رصد عدد من المنشورات تنهم القوى المسيطرة "الكرديّة" بالعمل على فرض أيديولوجيتها على المنطقة مشبهينها بإجراءات حكومة دمشق المتعلقة بالتعليم، فيما تضمنت منشورات أخرى اتهامات

²³ آثار صق كهربائي وتشويه للأعين - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2020.

<https://2u.pw/lvTs>

²⁴ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع مدير منظمة حقوقية عن طريق برنامج Gmail meeting بتاريخ 16 أيلول/سبتمبر 2020.

²⁵ مقابلة ميدانية أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع موظفة في مؤسسات الإدارة الذاتية بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 2020.

²⁶ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع عضو منظمة غير حكومية تعمل في شمال شرق سوريا عن طريق برنامج ZOOM بتاريخ 24

أيلول/سبتمبر 2020.

للرافضين للمنهاج أن دافعهم أيديولوجي أيضاً، طالب ناشطون بعدم استبعاد مادة التربية الإسلامية ورفضوا كل ما اعتبروه مناقضاً للثقافة المحلية. اتهم آخرون بالتواطؤ مع الإدارة الذاتية أو الحكومة السورية بسبب عدم تعاملهم بإيجابية مع بيانات الرفض. بينما قال باحث من منظمة العدالة إن ممثلي الإدارة الذاتية لم يكونوا متعاونين في جلسات النقاش الخاصة بالمنهاج والتي سبقت تسريب محتواه.

أقرت الإدارة المحلية التابعة للإدارة الذاتية المنهاج التعليمي المقترح رغم رفض واسع من قبل قطاعات التعليم والمجتمع المدني خشية التعرض للتهميش أو الفصل كما حدث مع أحد موظفي المجلس التشريعي، وتعرض مدّرسون رافضين للمنهاج لسرقة مرتباتهم بالقرب من حاجز عسكري تابع لسوريا الديمقراطية²⁷.

الانسحاب الأمريكي من سوريا

ما إن بدأت القوات الأمريكية بتنفيذ قرار²⁸ الرئيس الأمريكي بالانسحاب من سوريا وفرض فصائل مسلحة سورية بدعم تركي سيطرتها على عدد من المدن والبلدات الرئيسية مثل تل أبيب ورأس العين حتى ظهر الانقسام الحاد شرقاً، اعتبر البعض أن المفاوضات التي عقدها قوات سوريا الديمقراطية مع الحكومة السورية وتسليم قرى وبلدات حدودية لها إنذاراً للتخلي عن مناطق أخرى وهو ما قد يعرض مئات الآلاف للخطر، وطالب ناشطون خلال اجتماع مع قيادات عسكرية من سوريا الديمقراطية بالكشف عن تفاصيل هذه المفاوضات، في المقابل ظهرت دعوات على وسائل التواصل الاجتماعي وثقتها منظمة العدالة من أجل الحياة للتخلي فعلياً عن مناطق وتسليمها للقوات الحكومية مقابل حماية أخرى من التدخل التركي. واتجهت أطراف للمطالبة بدخول القوات النظامية السورية وحلفائها ضمن اتفاق تسوية مشابه لما حدث في جنوب سوريا. تشير العديد من المنشورات التي رصدتها منظمة العدالة إلى تطورات سلبية في العلاقة بين مؤيدي كل توجه خاصة بين من طالبوا ببقاء التحالف وبين من طالبوا بتسليم المناطق للقوات النظامية.

²⁷ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع ناشطة مدنية في دير الزور عن طريق برنامج Zoom بتاريخ 10 أيلول/سبتمبر 2020

²⁸ الرئيس الأمريكي ترامب يأمر بالانسحاب القوات الأمريكية من شمال سوريا- نيويورك تايمز، 2019.

فرضت سوريا الديمقراطية عقوبة على كل من يخوض بشكل علني بموضوع الانسحاب الأمريكي، وطرقت عاملين من وظائفهم بسبب المصالحة التي أجروها مع السلطات السورية على إثر القرار الأمريكي²⁹.

المطالبة بالمشاركة في الإدارة المدنية

شهدت دير الزور مظاهرات بدأت منذ العام 2019، كانت تنقطع وتعود بين فترة وأخرى، آخرها كان خروج متظاهرين في عدد من القرى في شهر أيلول/سبتمبر 2020 مطالبة بإطلاق سراح المعتقلين في سجون قوات سوريا الديمقراطية، كما عُقدت اجتماعات ضمّت فاعلين اجتماعيين وناشطين مدنيين لمطالبة الإدارة الذاتية بإشراك³⁰ حقيقي وفعال للأهالي في إدارة مناطقهم، ومنحهم صلاحيات تمكّنهم من أداء عملهم. اتهم المتظاهرون الإدارة بتوظيف شخصيات مقربة منها وعدم الاعتماد على الكفاءة وتكافؤ الفرص في اختيار العاملين لديها³¹، استجابة الإدارة لم تكن كافية بل اعتدت على عدد من المشاركين في التظاهرات. تم توثيق تعرّض شخصين للضرب من قبل القوى الأمنية واعتقال عدة أشخاص والإفراج عنهم، كما تم رصد تهديد شخصين على الأقل بطردهم أو طرد أقارب لهم من العمل في مؤسسات الإدارة الذاتية لمشاركتهم في التظاهرات. ردود فعل السلطات المحليّة واستمرار الحراك الشعبي من دون وجود أفق واضح لحل القضايا التي أثارها المتظاهرون خلق جدلاً بين الراغبين بالهدوء والمطالبة فقط عبر مؤسسات الإدارة الذاتية وبين من أصرّ على مواصلة التظاهر.

للمسؤولين في الإدارة دور في التحريض كما أنّ عدم التجاوب قيّد الخيارات المحليّة للمطالبة بالحقوق، فعلى سبيل المثال منذ عدّة أسابيع تأخر تسليم مرتبات بعض العاملين في مؤسسات الإدارة، عند سؤال مديرية المالية عن السبب أكدّ المسؤولون في المديرية بأنّهم قاموا بكل ما يلزم لتأمين الرواتب ولكن بدون نتيجة، حرّض عاملون في المديرية من لم يحصلوا على مستحقّاتهم الماليّة على قطع الطرق وإشغال الإطارات حتى حل القضية³².

²⁹ مقابلة ميدانيّة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع موظفة في مؤسسات الإدارة الذاتية بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 2020.

³⁰ مطالب مستعجلة وأخرى تتطلب جدولاً زمنياً - منظمة العدالة من أجل الحياة، 2019

<https://2u.pw/DGfitB>

³¹ في استبيان نفّذته منظمة العدالة من أجل الحياة في 2020، قال ما يقارب (40%) من المشاركين إن ممثلي المحافظة في مؤسسات الإدارة الذاتية ليس لهم دور في اتخاذ القرار، وأكدت نسبة قريبة بأنهم لا يعلمون إذا كان لهم دور أم لا. للمزيد من التعرف على النتائج يمكن الاطلاع على المرجع رقم (3).

³² مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع ناشط مدني في دير الزور عن طريق برنامج Zoom بتاريخ 10 أيلول/سبتمبر 2020.

العلاقة بين المقيمين والنازحين

استقبلت مناطق شمال نهر الفرات موجات نزوح مع سيطرة القوات الحكومية وحلفائها على مناطق جنوب نهر الفرات، النازحون من مدن دير الزور والميادين والبوكمال والبلدات والقرى التابعة لها، عاد نازحون من مناطق الرقة وجرابلس والباب إلى شمال نهر الفرات بحثاً عن فرص عمل.

المساعدات الإغاثية وفرص العمل وارتفاع إيجارات المنازل واختلاف بعض العادات من منطقة إلى أخرى أدت إلى صدامات عديدة بين النازحين والمجتمع المضيف، سجّلت منظمة العدالة (3) نزاعات حديثة استخدم فيها السلاح، كما رصدت رفض مجموعات من المقيمين والنازحين التعاون مع بعضهم في جلسات تدريبية. لعب المجتمع المدني دوراً واضحاً في عقد لقاءات حوارية لفهم جذور المشكلات بين الفئتين ومحاولة إيجاد تصورات واقعية للتعامل معها، إلا أنّ الخطاب التحريضي من كل طرف لا يزال حاضراً وبقوة.

ترفض بعض العوائل المُضيقة السماح لنساء العائلة من التعامل مع النساء النازحات كونهن بإمكانهن الخروج بمفردهن والعمل ويتمتعن بقدر من الحرية، قال أحد المقيمين لناشطة مدنية نازحة من مدينة دير الزور إن نساء المنطقة تعلموا بعض العادات الجديدة وغير المستحبة من النازحات³³. تعرّض بعض النازحين للمضايقات في بداية نزوحهم من قبل بعض العائلات المقيمة، ويوجد دعوات من البعض لعودتهم إلى مناطقهم بحجة حصولهم على فرص العمل والمساعدات الإنسانية على حساب المجتمع المضيف³⁴.

دور المؤثرين المحليين (قيادات محلية-منظمات مجتمع مدني) في الوقاية من آثار خطاب الكراهية والتحريض

يُعوّل الكثيرون من أبناء العشائر في دير الزور على جهود الوجهاء والمؤثرين المجتمعيين في معالجة تداعيات ونتائج النزاعات، تتكلّل هذه المساعي بالنجاح أحياناً وتفشل أحياناً أخرى، إلا أنّه من الواضح أنّ معالجة أسباب النزاعات الناتجة عن خطابات الكراهية والتحريض بهدف الوقاية تحتاج إلى تضافر جهود أطراف

³³ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع ناشطة مدنية في دير الزور عن طريق برنامج Zoom بتاريخ 10 أيلول/سبتمبر 2020.

³⁴ مقابلة ميدانية أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع ناشط مدني في دير الزور بتاريخ 13 أيلول/سبتمبر 2020.

مختلفة في المنطقة، حيث أنّ جهوداً فردية وغير منضّمة تقوم على التدخل الطارئ لا تكفي للتعامل مع النتائج التراكمية لخطابات الكراهية المستمرة لعدة سنوات³⁵.

حتى تتمكن القيادات العشائريّة من التأثير بشكل حقيقي على المجتمع لابد أنّ تتجاوب الإدارة الذاتية مع مطالبهم والتي تتشكّل مطالب أبناء عشائرتهم، كما لا بد من تقوية منظمات المجتمع المدني التي اقتصر دورها على العمليات الإنسانيّة ولم تقدم الدعم للمؤثرين الحقيقيين ولم تطرح تجارب دول أخرى لتحفيزهم على إيجاد طرق تناسب سياق منطقتهم لمواجهة خطاب الكراهية، فضلاً عن ذلك لا يمكن أن نتخطى الدور المهم للقضاء في تعزيز حق حرية التعبير عن الرأي، مع أنّ القضاء في سوريا عموماً وفي شمال شرق سوريا على وجه الخصوص غير مستقل وغير مؤهل ويستخدم محاكم الإرهاب (محكمة الدفاع عن الشعب في شمال شرق سوريا) في الأمور السياسية والشأن العام والتعبير عن الرأي³⁶.

يمكن للوجهاء كبح جماح المحيطين بهم ووضع حد لكل من يحرض وذلك بأنّ يعتمدوا هم أنفسهم خطاباً متوازناً داعياً للتسامح والأخوة وقبول الآخر، إنّ ما يقوم به بعض الوجهاء من تنافس واتهامات يؤثر سلباً على المجتمع المحلي³⁷.

يلعب الوجهاء دوراً في الصلح المحلي، تحاول مختلف أطراف الصراع استمالتهم خدمة لمصالحها السياسيّة. يشوب علاقة الوجهاء بمنظمات المجتمع المدني شيء من الريبة كونها كيانات مصطنعة وليس أصيلة في المجتمع، وتلعب دوراً يخشى البعض أن يتضارب مع دور الوجهاء³⁸.

³⁵ مقابلة ميدانية أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع ناشط إعلامي في دير الزور 11 أيلول/سبتمبر 2020.

³⁶ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع مدير منظمة حقوقية عن طريق برنامج Gmail meeting بتاريخ 16 أيلول/سبتمبر.

³⁷ مقابلة ميدانية أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع موظفة في مؤسسات الإدارة الذاتية بتاريخ 12 أيلول/سبتمبر 2020.

³⁸ مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع عضو منظمة غير حكوميّة تعمل في شمال شرق سوريا عن طريق برنامج ZOOM بتاريخ 24

أيلول/سبتمبر 2020.

تجارب دولية

جنوب السودان

أشار تقرير³⁹ حول السلام في دولة جنوب السودان والذي أصدرته الأمم المتحدة في 22 شباط/فبراير 2018 إلى أنّ القيود المفروضة على حرية التعبير "تضيّق حيز النقاش أكثر فأكثر، فيما يستمر التحريض على الكراهية أيضا في خلق حال من عدم الثقة والخوف والعنف". وأكد ممثلو بعثة الأمم المتحدة في الدولة على ضرورة سماع أصوات جميع الناس بغضّ النظر عن اختلافاتهم لتحقيق سلام شامل.

وفق التقرير المذكور فإنّ القوى الأمنية وصلاحيتها الواسعة منعت الناس من "المشاركة ومناقشة حالة البلاد أو حقوق الإنسان"، حيث اعتقلت العشرات وحجبت مواقع وأغلقت صحفاً وطردت أشخاصاً من وظائفهم بنهمة "التعاطي مع قضايا حسّاسة".

جمهورية أفريقيا الوسطى

قالت المفوضية السامية لحقوق الإنسان إنّها لاحظت⁴⁰ زيادة عدد الرسائل التي تعرض على الكراهية والتمييز بعد كل حادث أمني مهم في بعض مناطق جمهورية أفريقيا الوسطى، وقال ممثل المفوضية: "اتّصفت الرسائل المفعمة بالكراهية التي انتشرت عبر وسائل الإعلام التقليدية وعبر الأنترنت بخاصية التسبب بالعنف الجسدي والنفسي للأفراد أو مجموعات من الأفراد" وشكّلت الرسائل "دعوات إلى الكراهية أو التمييز أو العداوة أو العنف أو العشائرية أو كراهية الأجانب من النواحي الوطنية أو العرقية أو الدينية".

³⁹ حرية التعبير ضرورية من أجل تحقيق السلام في جنوب السودان - تقرير للأمم المتحدة، 2018.

<https://www.ohchr.org/AR/HRBodies/HRC/Pages/NewsDetail.aspx?NewsID=22687&LangID=A>

⁴⁰ منع التحريض على الكراهية والعنف في جمهورية إفريقيا الوسطى - الأمم المتحدة / حقوق الإنسان/مكتب المفوض السامي، 2019.

<https://www.ohchr.org/AR/NewsEvents/Pages/PeacekeepersDay2019.aspx>

جهود المفوضية السامية لحقوق الإنسان في الحالة السوريّة

بالتعاون بين عدد من المنظّمات السوريّة وبعد عدد من الاجتماعات يسرتها المفوضية السامية لحقوق الإنسان في سوريا، تم تنفيذ حملة مناصرة في 10 كانون الثاني/ديسمبر 2019 المصادف اليوم العالمي لحقوق الإنسان، هدفت الحملة إلى تسليط الضوء على خطاب الكراهية في عدد من المناطق السوريّة وتأثيرها على المجموعات المهمّشة، شملت الحملة جلسات حوارية ولقاءات مع وجهاء اجتماعيين ومواد إعلامية.

حرية التعبير ومكافحة التحريض على الكراهية من منظور دولي

رتّب المبدأ التاسع من مبادئ كامدن⁴¹ حول حرية التعبير والمساواة على وسائل الإعلام لعب دور في "تعزيز التفاهم بين الثقافات والتنبّه إلى أهمية تغطية الحدث في سياقه الصحيح بموضوعية ودقّة، ... والتنبّه لخطر الآراء المسبّقة والتمييز ضد الأشخاص أو الجماعات المختلفة". ولنشر التفاهم بين الثقافات أشار المبدأ العاشر أنّه "على السياسيين وغيرهم من الشخصيات القيادية في المجتمع أن يمتنعوا عن إطلاق تصريحات تروج للتمييز أو تقوّض مبدأ المساواة"، وطالبت المبادئ منظّمات المجتمع المدني باحترام التعددية وتعزيز حرية التعبير وبصفة خاصة "عليها تعزيز التفاهم بين الثقافات والاعتراف بالدور المهم للأصوات المعارضة ودعم قدرة أشخاص من مختلف المجموعات، ولا سيما المهمّشة منها، على التعبير عن آرائهم واهتماماتهم بطريقة تعترف بالتنوع والتعددية داخل المجتمعات".

استنكر إعلان مشترك⁴² حول حرية التعبير والاستجابة لحالات النزاع الهجمات الممنهجة على حرية التعبير "من قبل الدّول وأطراف أخرى من غير الدّول في العديد من البلدان والتي تحدث في سياقات مختلفة بما في ذلك النزاعات المسلّحة الدّوليّة وغير الدّوليّة". تشمل هذه الهجمات "الهجمات الجسدية على أولئك الذين يمارسون حقهم في التعبير الأمر الذي يؤدي إلى...قمع النقاشات المفتوحة حول بعض القضايا التي

⁴¹ مبادئ كامدن حول حرّية التعبير والمساواة

<https://www.article19.org/wp-content/uploads/2009/04/Camden-Principles-ARABIC-web.pdf>

⁴² صدر الإعلان عن المقرر الخاص للأمم المتحدة حول حرية الرأي والتعبير وممثل منظمة الأمن والتعاون في أوروبا حول حرية الإعلام والمقرر الخاص لمنظمة الدول الأمريكية حول حرية التعبير والمقرر الخاص للجنة الأفريقية لحقوق الإنسان والشعوب حول حرية التعبير والنفّاذ إلى المعلومات، 2015.

<https://www.ohchr.org/AR/NewsEvents/Pages/DisplayNews.aspx?NewsID=15921&LangID=A>

تتم المصلحة العامة". أكد الإعلان على "أنّ النقاش المفتوح والناقد يعد جزءاً هاماً من استراتيجية تستهدف معالجة الهجمات الممنهجة على حرية التعبير والأسباب المؤدية لها كما أنّ تجريم التعبير بشكل شامل يمكن أن يؤدي إلى تراكم المظالم وتغذية العنف". وضمن المبادئ العامة أكد الإعلان أنّ الأطراف الأخرى غير الدول تتحمل "مسؤولية غير مباشرة عن أفعالها الخاصة عندما تمثل تلك الأفعال انتهاكات للقانون المحلي أو للقانون الإنساني الدولي أو القانون الجنائي الدولي".

وضعت "خطة"⁴³ عمل القيادات والجهات الفاعلة الدينية لمنع التحريض على العنف والجرائم الوحشية" توصيات لرصد التحريض على العنف ولا سيما في المجتمعات المنقسمة على أساس الهوية وفي الحالات التي تشتد فيها حدّة التوترات ما يساهم في منع تطور التحريض لارتكاب جرائم، ووجهت التوصيات إلى المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني إضافة إلى الجهات الدينية لما لهذه الجهات من تأثير مباشر على مجتمعاتهم المحليّة، واستندت إلى حقوق الإنسان ولا سيما الحق في التعبير وحرية الرأي.

في تعليقها رقم (10)⁴⁴ الخاص بالمادة رقم (19) من العهد⁴⁵ الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية تقول اللجنة المعنية بحقوق الإنسان إنه للمرء الحق "في اعتناق آراء دون مضايقة" وأنّ الحق في حرية التعبير "لا تتضمن فقط حرية نقل ضروب المعلومات والأفكار بل أيضاً حرية التماسها وتلقيها دون أي اعتبار للحدود وبأي وسيلة، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأي من الوسائل الأخرى". كما أنّ ممارسة حرية التعبير وفق المادة (10) من الاتفاقية⁴⁶ الأوروبية لحقوق الإنسان: "هذه الحريات تتضمن واجبات ومسؤوليات. لذا يجوز إخضاعها لشكليات إجرائية، وشروط، وقيود، وعقوبات محددة في القانون حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمع ديمقراطي، لصالح الأمن القومي، وسلامة الأراضي، وأمن الجماهير وحفظ النظام ومنع الجريمة، وحماية الصحة والآداب، واحترام حقوق الآخرين، ومنع إفشاء الأسرار، أو تدعيم

⁴³ خطة عمل القيادات والجهات الفاعلة الدينية لمنع التحريض على العنف والجرائم الوحشية، 2017.

<https://www.un.org/en/genocideprevention/documents/publications-and-resources/POA%20A%20Final%20web.pdf>

⁴⁴ اللجنة المعنية بحقوق الإنسان، الدورة التاسعة عشرة، 1983.

<http://hrlibrary.umn.edu/arabic/hrc-gc10.html>

⁴⁵ العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، بدء تنفيذه 1976.

<http://hrlibrary.umn.edu/arab/b003.html>

⁴⁶ الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان /اتفاقية حماية حقوق الإنسان في نطاق مجلس أوروبا، 1950.

https://www.echr.coe.int/Documents/Convention_ARA.pdf

السلطة وحياد القضاء". وحظرت المادة (20) من العهد أي دعوة إلى الحرب أو "إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكّل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف".

الخلاصة

ما رصده باحثو منظومة العدالة من أجل الحياة على وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام والرسائل المتداولة، والأمثلة التي تحدّثت عنها الأشخاص المفتاحين في المقابلات العشر، وما تطرّقت له بعض الوثائق الدّولية، وتجارب دول أخرى فإن لخطاب الكراهية آثاراً خطيرة على استقرار المجتمعات ودور في زيادة عدد وحدّة النزاعات.

في شمال شرق سوريا عموماً ودير الزور على وجه الخصوص، ثمة مساحة يمكن من خلالها ممارسة الحق في التعبير، إلا أن ما يحصل هو استغلال هذه المساحة في تمرير رسائل تحريضية وكارهة. تتكثف هذه الرسائل في كل مرّة تبرز فيها مواضيع محط اهتمام المجتمع المحلي عامة. يوجد عوامل تعزّز من خطاب الكراهية وتلعب دوراً في زيادة جرعات التحريض، منها الانتهاكات المرتكبة من قبل القوى المسيطرة من اعتقالات تعسفية وتعذيب في مراكز الاحتجاز وقمع المتظاهرين والانتفلات الأمني وتجاهل المطالب الشعبية وعدم التزام وسائل الإعلام عموماً بالمعايير المهنيّة. الاصطفافات العشائرية والتي أثرت حتى على نشطاء المجتمع المدني زادت من الأوضاع تعقيداً. تفتقر مناطق شمال شرق سوريا للإجراءات الواضحة التي تحد من نتائج التحريض وتحاسب مرتكبيها.

على القوى المسيطرة وضع إجراءات تحترم مبادئ حقوق الإنسان تحد من الاستخدام السلبي لوسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي. العمل على فتح مساحات حوار آمنة تشمل مختلف الفئات المجتمعيّة أصبح ضرورة. إن دور منظمات المجتمع المدني والوجهاء الاجتماعيين والقضاء محوري في عملية الرقابة ضمن مواجهة خطاب الكراهية والتحريض على العنف.

لا يزال النقاش محتدماً حول ما يشكّل ممارسة للحق في حرية الرأي وما يعتبر تحريضاً وخطاباً كارهاً. لا بد من جهود كبيرة من قبل المجتمع المدني وذلك من خلال أبحاث ميدانيّة مكثّفة يمكن من خلالها التعرف على ما يثير الكراهية داخل المجتمع المحلي، وما قد يسببه من نتائج وذلك للعمل على التوعية بضرورة تجنّبه.

توصيات لتحسين المجتمع المحلي من تبعات التحريض

1. وضع خطة عمل شاملة على المستوى المحلي لمواجهة خطاب الكراهية والتحريض على العنف، بمشاركة للمؤثرين الاجتماعيين لها لهم من علاقات وقدرة على التأثير.
2. رصد رسائل التحريض سواء عبر الإعلام أو الإنترنت أو الخطاب العام، وتوعية المجتمع المحلي بمخاطرها.
3. الاستفادة من وسائل الإعلام في نشر ثقافة الحوار وحرية التعبير ومكافحة التحريض.
4. دعم إشراك الأكاديميين والمعلمين ونشطاء المجتمع المدني في كافة المشروعات المتعلقة بمواجهة التحريض على العنف وتعزيز ثقافة حقوق الإنسان، لها لهم من وصول لمختلف الفئات المجتمعية.
5. خلق فضاءات للحوار خاصة للنساء والشباب لتوعيتهم بمخاطر خطاب الكراهية وتعزيز دورهم في مواجهته مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هاتين الفئتين الأكثر تضرراً من النزاعات.
6. وضع جدول زمني للتعامل وحل القضايا الأكثر إلحاحاً وتأثيراً على المجتمع المحلي ومن أبرزها المشاركة في الإدارة المحلية، الاعتقالات التعسفية، المفقودين في سجون تنظيم الدولة، الانفلات الأمني.

مراجع

- 1- جرائم التمييز والحض على الكراهية والعنف دراسة مقارنة / الدكتور محمد صبحي سعيدة صباح
https://jdl.journals.ekb.eg/article_30862_92ecf9d293f2bfb9cd0118e922f0905a.pdf
- 2- مناهضة خطاب الكراهية والتحريض على العنف في وسائل الإعلام السوريّة
<https://www.ohchr.org/AR/NewsEvents/Pages/HatespeechSyrian.aspx>
- 3- إعادة النظر في "الخطوط الحمراء": عندما تتقاطع حرية التعبير والمعتقد والتغيير الاجتماعي
https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/Free-Speech_Arabic_Web.pdf
- 4- دراسة اللجنة الدولية للصليب الأحمر حول القانون الدولي الإنساني العرفي
<https://www.icrc.org/ar/publication/pcustom>
- 5- مقابلة المفوض السابق للأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان زيد بن رعد في برنامج بلا قيود
<https://www.youtube.com/watch?v=dVfOtm01zn0>
- 6- دراسة خطاب الكراهية والتحريض على العنف في الإعلام السورية
<https://scm.bz/studies/187764>
- 7- جميع وسائل الإعلام السورية استخدمت خطاب الكراهية
<https://www.enabbaladi.net/archives/289304>